

## جندي مسيحي

نظر للاب لويس شيخو البسوي

لما أعلن الدستور العثماني قبل ثلاث سنوات وتقررت بفضله المساواة بين عناصر الدولة في الواجبات والحقوق مع قطع النظر عن الاديان ترتب على كل ابناء البلاد ان يخدموا وطنهم ويذبوا عن حياضه ويضخروا النفس والنفس في صيانة حومته . وما كان النصارى ليتأخروا عن هذا الواجب المقدس وهم قد أمروا ان يؤدوا ما لقيصر لقيصر فرايناهم يسيرون الى الاقتراع العسكري بكل النشاط تتقدمهم آلات الطرب والزرايات العثمانية ويمحضهم رؤسائهم الروحيون على اعتبار شرف مهنتهم والقيام بفرانتضا الخليفة

ولو اردنا ان نلتبس لهؤلاء التجندين امثلة سابقة في تاريخ النصرانية يأتسون بها ويمجرون على آلهها لما اعتاص علينا الامر وبين شهداء الكنيسة وقديسيها الوفاء وديوات خدموا الله والقيصر في الجندية اصدق خدمة كالتديس جرجس والقديس موريتيوس ورفقته وغيرهم كثيرين ممن لم يخالفوا الملك الارضي في شيء الا اذا امرهم بمخالفة ملك السماء قرأوا ان الله احق ان يطاع من البشر

وكانه تعالى اراد ان يجعل لمواطنينا النصارى التجندين مثالا حديثا اقامه لهم في لبنان في اواسط القرن المنصرم بشخص رجل جمع بين الشجاعة وحب الوطن وبين الامانة لربه وخلص الخدمة لوزانه ما امكنه لكنه لم يأنف من مخالفتهم اذ رآهم يعرضون بالاطمان لاستعباد الاجانب وخلع الطاعة للسلطان الشرعي زيد به بطل لبنان وفارسه الفوار ابا سراء غانم البكاسيني

وليست غايتنا في هذه العجالة ان نعدد كل ماثر الرجل بالتفصيل لما يقتضي الامر من طول الايضاح الذي لا يوافق المجالات الموقفة فضلا عن كون احد اقربائه واعرف الناس به سبقنا الى ذلك متمتعا تحت اسم خليل همام فائز فاقسح في بيان سيرة « ابي سراء غانم او البطل اللبناني » التي طبعها في مصر سنة ١٩٠٥ فاعتانا عن ايراد دقائقها وتتبع كل فرائدها وانما اقتصرنا على ذكر ما وجدنا في تلك الحياة

من الاخبار الصادقة المثبتة لعلو مقام المترجم من حيث خدمة وطنه في الجندية ومن حيث اعتصامه بجبل الدين غير النقص فيستقر تعريفنا له بالجندي المسيحي وكفى بذلك تنويماً بعمير فضله وتنشيطاً للازمي الخدمة العسكرية لكي يجذوا حذوه في حب وطنهم والثبات على واجباتهم الدينية

### ١ الجندي

ان توقلت جبل لبنان صاعداً الى مشارفه شرقي صيدا. اذى بك المسير بعد نحو خمس ساعات الى قرية متوسطة الكبر من اقليم جزين تدعى بكاسين موقعها على رابية تبعد عن قسبة الاقليم مسافة ساعة وتطل على ما حولها من المزارع والقرى وتكتنفها الاشجار الوطنية لاسيا اترتون والتوت وفي جنوبها غابة كبيرة من الصنوبر تجرد هواها من كل الجراثيم المعدية. والتاخر أنها بلدة قديمة كما يدل عليها اسمها الفينيقي الذي معناه على الأرجح «بيت الكزوس» اشارة الى ما كان يُغرس هناك من اغراس الجنة ويكسب من اجناس الحرة في الكزوس لآكرام الآلهة ار لمسة اصحاب اللبيرة. وقد ورد ذكر بكاسين في حروب الفرنج في سجل املاك الفرسان الالمان فدعوا ثارة Bikicin وثارة Bequicin وحيناً Bkeshtin ويذكرونها مع تيرون الشهيرة بقلعة السليبين ومع قيتوله (١) وسكانها اليوم ينفون على التي نفس كلهم موارنة الا بعض افراد من الروم الكاثوليك. وقد عُرف البكاسيون بتفاهم وذكابهم وإقدامهم اشير بينهم عدة رجال صاروا فخرًا لوطنهم

ففي تلك القرية ولد السنة ١٨٠٥ الرجل الذي تولينا تعريف احواله ابو سمران بن خير الله غانم الماروني فدعي يوم تنصيره باسم برجس شفيع الجنود المسيحيين وانما أطلق عليه اسم جده ابي سمران فصح فيه الاسمان كلاهما مع دلالتهما على الفروسية والشجاعة. وكانت عازمة اجداد بيت غانم تقطن سابقاً لحفد في جهات بلاد جبيل فكثرت بنوها وتناسلوا وتفرعوا فررعاً اشتهر في كل منها بعض الافراد اخصهم ابو علوان غانم احد حجاب الامير فيخر الدين المعني الذي اقطع مولاده ربع قرية بكاسين في

(١) اطلب مقالة ارهريخت (Rehricht) عن جغرافية سورية في القرون الوسطى (ZDPV, X, 274)





ما يتقنه من بطش المصريين ولاسيما أنه كان لا يكاد يرى في عمال الدولة وبالخصوص في عباده باشا والي عكا إلا الاستبداد وبخس الحقوق. وزد على ذلك أن الدولة المليّة كانت بعد حربها مع اليونان وتحطيم عمارتها في معركة نقارين عجزت عن صيانة رعاياها والولايات البعيدة عن دار السلطنة. فكل هذه الاسباب حدثت بالامير بشير الى ان ينضم الى محمد علي. عزيمدمر والى ابنه سرّ عسكر الجيوش المصرية ابراهيم باشا. أمّا اللبنانيون فما كانوا لينفصلوا عن اميرهم الشهابي بعد ان رأوا فيه ما رأوا من الجاه والروفق والسجايا الملوكية فجعل جنّهم في عين المعاصرين كقيام الغزّ ومباةة النعمة والمران

وبقي آل لبنان بعد دخول ابراهيم باشا في سورية في راحة بال وطمانينة وهو يعاملهم باللطف ومساواة الحقوق ويمنحهم الحرية التامة في امور دينهم ويمتولهم انعامات لم ينالوها قبلاً من غيره فزاد الجبل تقدماً ورفل مجلج السلم والرفق الى السنة ١٨٣٥. وفيها اخذ المصريون يسومون الحرف اهل الشام وابتدأوا بالدروز وعرب حوران وحاولوا ان يلبسوهم بعض امتيازاتهم ويضطروهم الى الخدمة العسكرية فأبى الدروز الطاعة وعودوا الى العريان فلم ير ابراهيم باشا بدءاً من مناجزتهم القتال. لكن تلك الحرب كادت تدور عليه رحاه لولا الامير بشير وقوم الموارفة اللبنانيون الذين دعاهم الى مجدته فكسروا شوكة الثائرين وقد برّز ابو سرا غانم بين المقاتلين ورجباً كان الترواد يدعونه اذا اعتاص عليهم امر ما كقتل الرسالات الحربية وانتاذ مواطنيه من الاخطار فبات مغزّاً مكرماً من الجميع يشيرون اليه بالبنان لبأسه وعار همته

على ان الدولة المصرية اذ رأت ان قدمها رسخت في بلاد الشام ولاسيما بعد واقعة نصيين قريباً من حلب في ٢٤ حزيران سنة ١٨٣٩ حيث انتصرت على الدولة المليّة وبعد خيانة محمود باشا الذي سأم احمد علي بقايا الاسطول العثماني ثلثت ان سلطتها تمكّنت ولم تعد محتاج الى مراعاة رعاياها السوريين وكانت نفقات الحرب قد ايهضت عانتها وافرغت خزائنها فاخذ ابراهيم باشا يثقل على اللبنانيين بصنوف الضرائب ويفرض عليهم مالا تطيقه قواهم من الصخرة حتى ناءت تحت هذه الاتقال عراقتهم. ثم زاد غيظهم وحققتهم على المصريين اذ وردت اوامر محمد علي

مجمع اسلحة النصارى وادخالهم في الجندية قهراً . فكبر الامر على اهل لبنان ولم تطق نفوسهم الاية احتمال هذا الجور . فانسلخوا عن الامير بشير واجتمعوا بالدروز والمتاوله وتحالفوا على اختلاف طوائفهم وتماهدوا على الاتحاد لمقاومة للمصريين . وقد وجدت اصراثهم صدى في قلب ابو سرا فانحاز اليهم واخذ يتجول في نواحي لبنان يدعو اهله الى كسر النير المصري والانتماء الى الدولة العلية فوق كلامه في القلوب كسرارة نار في بارود واضرم الحمية في الصدور فاندفع اللبنانيون يتقاطرون اليه من كل صوب فتولّى امرهم بيتا كان زعماء الدروز والمتاوله يسديرون من جهتهم لمحاربة المصريين فهزمهم في عدة مواقع وغنموا اسلحتهم وقطعوا عنهم الميرة وتبعوهم الى جهات طرابلس وعكّار والضنية فكان صيف تلك السنة ١٨٤٠ كعرض ابطال رأى الشريون والغريثون فيه من مآثر اللبنانيين ما حيرهم وهم رجال لم يعتادوا الحروب لا ميرة لهم ولا اسلحة فيهجمون على العدو وينقضون عليه كالنور فلا يكاد ينثبه لامره ويعود الى رشاده حتى يرى الجليلين نكصوا على اعقابهم فانزيرن بالغنائم . وكان ابو سرا في مقدمة اصحابه لا يكثر لعدد الاعداء او يبالي باسلحتهم . الا انه عرف الاحوال واصيب غير مرة بالجراح لكنه ما كان يلبث ان يعود الى ساحة القتال حتى تخيل لوقتته انه لا تعمل فيه قذائف العدو وقد وضعوا في وصف شهادته تلك الهازيج والانشدة التي تنبئ باعتبارهم لشخصه ولاحد أمثاله في البسالة الفارس يوسف الشنيري ( اطلب كتاب الترجمة ص ٣٢٨-٣٣٩ ) .  
ومن شهدوا على مآثره اذ ذاك المؤرخ قيصر فيارزكاتي في كتابه « القسطنطينية ومصر » حيث قال ما ترجمه ( ص ٣٣٢ ) :

« ان ابا سرا ( وشرح اسمه باني الشديد ) كان في الرابعة والثلاثين من عمره ليس الا . وهو رجة اقامة حاد النظر . . . ولما انتشرت الثورة في الجبل شد محمد علي اذى فروض الطاعة للدولة ولشزوبه العظيمة بين اهل لبنان تبعه عدد غفير منهم فانظر بسبب سلوكه هذا الى ان يشد عن الامير بشير ويلتجى الى جبل عكّار وقد حارب طويلاً مع اتباعه الجنود الالمانية والارازوطية التي كانت تستعير على الجبل . وقد قابل وحده في طرابلس فرقة من الحباله بدون ان يصيبه جرح وواقع بنفس هذه الشجاعة بالقرب من بيروت عدداً من المصريين وبدان تمل عشرة رجال منهم عاد الى الجبل وكانت باثله موضوع اعجاب ذويه الذين لقبوه باني الخارات الذي لا تعمل فيه الاسلحة . فلما وقد على عزت باشا - ر عسكر الدولة اذى خدماً جزية مع شلاقته من اتباعه للسياسة الجديدة التي اتصرت لها »

وقد عرف له عمال الدولة خدمه هذه المشكورة فاستدعاه عزت باشا واستقبله بالترحاب ووكل اليه قيادة اللبنانيين ولقبه بلقب الاغا وهو اول نصراني اصاب ذلك الامتياز وارسله الى شمالي لبنان لمقاتلة الصاكر المصريه . فلم يخلف ابو سمرا . ظنه واتى في تلك الجهات بآثرين كفي قسم منها لتخليد اسم وطني - شامل . فكان يتعقب آثار المدوح حيثما كان لا يكثر له لددته وذخائره الحربيّة فيأتي النصر حليف لوائه . ومن يقرأ في ترجمته تفاصيل وقائمه مع المصريين في بلاد جيبيل وجهات طرابلس وفي نواحي الارز وفي عيناتا حتى سهول البقاع الى مرج عيون وتبلس لا يتالك من اطراء محامده يراه كاحد اولئك الابطال الذين كثر السمع عنهم وقل النظر الى امثالهم . وقد بُرح غير مرّة في تلك المارك وقُتل تحتة عشرة من الخيل لكن تلك المخاطر ما كانت لتضعف غزمه او ترده التهقري فيهزأ بالموت ويؤدري بقك الاسلحة

على ان المصريين ضاعفوا قوتهم وألوا بان يفوزوا بالغلبة على بلاد الشام فصاروا الحملات التي كادت تشيب لها الازوس واوشكت ان تغلظهم بالمرغوب لولا ان الدول تصدّت للحكومة المصريّة وفككتها على الاغتاب وكسرت شركة عاضديها بمجلى الامير بشير الكبير ونفيه الى مالطة وتولية الامير بشير قاسم ابن عمه بدلاً منه . ولم تتم هذه الامور الا بعد اضطرابات ووقائع لعب فيها ابو سمرا دوراً ذا بال وكافأته الدولة العليّة عنه برفع رتبته فسمّته بلوكباشي وشيخاً على شمالي لبنان وجازته بمبلغ مالي وافر اذاه له مصطفي باشا الدمامد صهر السلطان عبد المجيد ومنحته خلعة سنّة البسة اياها السر عسكر فعاد الى وطنه بعد مفارقه له صغيراً في حادثة سيّره فاستقبله مواطنه بما لا يوصف من المهجة وانسره باكرامهم بما لقيه من الاحوال في الحروب لكن احوال لبنان لم تهدأ بعد خروج المصريين زمناً طويلاً فترالى في تدبيره الامير بشير قاسم (١٨٤٠) ولم يحسن المعاملة مع اهله فنزل ونفي ثم خلفه في التدبير عمر باشا المعروف بالنساوي بصفة حاكم دار (١٨٤١) ثم قس الجبل الى قائمتين نصرانيّة تولّاهما الامير حيدر اللعي ودرزيّة تحت حكم الامير احمد ارسلان (١٨٤٢) فبقي الامر على ذلك الى السنة ١٨٦٠ حيث جرت تلك الحوادث التي لم تبع من ذكر كل نصارى الجبل . فهذه العشرون السنة كانت من السنين المشنومة

على لبنان فتقام فيها التصادم وتستفحل الشرّ ويزاد المرح والمزج فجزت بين النصاري والدروز حروب ومقاتلات اضعفت العنصرين وحوّلت الجبل الى منبع من الدماء جعل اعداءه يشتمون فيه ويوقنون احواله رجاء ان يسبلوه امتيازاته القديمة. ولأبي سمرأ آغا في هذه السنين مآثر أخرى ليست دون آثاره في الحرب المصرية. ولا يمضنا ان نعددها بالتفصيل لكثرتها وخرافاً من ان نشكى الجرح المتدمل فتجيب القراء الى مراجعتها في ترجمته المطبوعة (١٠). وغاية ما يقال ان اصحاب الامر كانوا في كل الاحوال ينيطون اليه مقاليد الامور حتى قلده الامير حيدر رتبة بكباشي على الجبل ثم نصبه احد باشوات الدولة شيخاً على اقليم جزين

وفي تلك الاثناء (١٨٤٧) سار عمر باشا السابق ذكره الى جهات ما بين النهرين لمحاربة بدرخان زعيم الاكراد الذي قام على الدولة في نواحي جزيرة ابي عمر فلعله ببسالة ابي سمرأ دعاه الى صحبته وعينه قائداً على منتي خيال فحرك الامر عوامل الحسد في قلب الضباط الا ان اعمال الآغا النصراني ما لبثت ان اكسبته اعتبار كل رفته واحزنت له مجداً اثيلاً حتى افتخر به نصارى ما بين النهرين. ولما أصيب بمرض في بعض حملاته وحمل الى ديار بكر تسارعوا الى معالجته وفي مقدمتهم اسقف المدينة الكلداني بطرس دي ناطالي. وبعد مدة انتهت تلك الحرب بتسليم بدرخان نفسه لرحمة الحكومة فعاد ابو سمرأ مكرماً مغزراً الى وطنه وما لبث ان اقترن بالزواج المسيحي بنتاً صالحة من لسرة بيت العروشي تدعى تاجاً فكان ذلك الاقتران كهفة في حياة ابي سمرأ ذات فيها نصيباً من الراحة والمنا. وقد باركه الله بهدٍ من الاولاد ذكراً واناثاً كانوا فرحاً لاهلهم ومجداً لوطنهم وفضراً لطانفتهم. وكان يحتمل لأبي سمرأ بعد كل هذه الاعمال الجليلة ان يلزم بيته وينقطع الى العيشة العائلية لكن الألسنة كانت تتناقل مآثره في النحاء الجبل فتستثير في قلوب اعدائه حزازات دفينه فحاولوا غير مرة ان يفتكروا به لكن اصحابه كانوا يسهرون عليه فانقذوه من ايدي طالبيه او قتل بالحري ان الله نجاه منهم في تلك الأيام العيسة وعلى الاخص في حوادث سنة ١٨٦٠ حيث جعل مبغضوه جبالاً لمن يأتي به حياً او ميتاً فاقلت من ايديهم بعناية الله الحاضرة ولحق بجيش الاحتلال الفرنسي الذي ارسله نابوليون لقطع دابر الفتن

(١) اطاب كتاب الآثار الصراية في الشرق للاب ١٠ رباط (ج ٣ ص ١٦٥ د

في لبنان وأدى لمساعدة مواطنيه المظلومين خدماً أقرّ له بها الكولونيل شاتزي كبير ضباط جيش حملة سوريا في قرار تاريخه ١٥ حزيران ١٨٦١ (اطلب ترجمته ص ١٩٦) ولما عادت المياه الى مجاريها ونال لبنان نظامه الخاص لم ينفك ابوسرا عن خدمة وطنه فانتخبه دورد باشا اول متصرف في لبنان كياوره فخدمه ثلاث سنوات بامانتة ونشاطه المألوفين لكثته استقال من الخدمة لما اراد المتصرف ان يرسله لمحاربة يوسف بك كرم وآثر الياور ان يعتزل عن الجندية ليعيش في بيته شريف النفس فبقي في خموله الى زمن فرنكو باشا الذي عرف له خدمه المعديده في جانب الدولة والوطن وعين له راتباً شهرياً اخذ يتقاضاه الى سنة وفاته في غرة آذار من السنة ١٨٩٥

هذه طرفه وجيزة من حياة ذلك الجندي الذي لا يزال حتى اليوم ممدوداً بين مواطنيه كثال النروسيّة بل قل كرامة كل الفضائل الجندية كالثبات والامانة وعلو الهمة والتمهة متمماً بالحرف وصابة يوحناً الممدان للجند (لوقا ٣: ١٤) لما اتوه قاتلين:

ماذا نضع لنشر ثمراً يليق بالتوبة فقال لهم : لا تظلموا احداً ولا تقفروا عليه واقتموا بوظائفكم بل رآى بطناً ذلك قليلاً في جانب الله فانه اراد ان يجمع بين صفات الجندي الشهم والمسيحي الكامل كما سترى

## ٢ المسيحي

ان بين الجندية والحياة المسيحية العادقة شهماً عظيماً قترى في الانجيل الطاهر واسبار الرسل كثيراً ما يدعو الرب وتلاميذه المؤمنين الى الكمال المسيحي على صورة التجند فان السيد المسيح قد صرح (متى ١٠: ٣٤ - ٣٩) بانه اتى الى العالم ليعلن الحرب على شهوات الدنيا ويلقي سيفاً لا سلاماً. وقد كان سبق اوبوب قتال (١: ٧) ان حياة الانسان تجند على الارض وانما علمنا ابن الله بثله كيف نظنر باعدا. نفسنا في هذه الحرب الروحية باعلان الايمان وغلبة اهرام النفس وحمل الصليب حتى نذوز بالاكيل المد في السماء للظافرين فنعدد عزائم رسله بقوله لهم (يوحنا ١٦: ٣٣) : تقفوا اني غلبت العالم وقال القديس بولس لتلميذه تيموطاوس (١ تيم ٦: ١٢) : « جاهد جهاد الايمان الجميل وفر بالحياة الابدية التي دُعيت اليها ». وقال عن نفسه (٢ تيم ٤: ٧) : قد جاهدت الجهاد الجميل واتممت شرطي وحفظت الايمان وانما

يقتى اكليل المدل الجفوظ لي الذي يحزني به الديان العادل لا أيي ققط بل جميع الذين يحبون تحيية» ومثل هذا قوله (٢ تم ٥: ٥): «لا ينال احد الاكليل مالم يجاهد جهادا شرعيا». وكذلك قال صاحب الرزيا (١: ٢١): «من غلب فاني اوتي به ان يجلس معي على عرشي كما غلبت انا وجلست مع ابي على عرشي»

فالجندى المسيحي اذا ادرك معنى هذه التعاليم وجد في مهنته الطبيعية ما يعدل بنظره الى جندية اشرف واعظم اعني الجهاد ضد العالم والارواح الشريرة والاهواء الباطنة التي يكسب الفوز بها جزاء اعظم وثابت من كل مجد بشري لان غلبة الانسان لنفسه وشهوته تفوق على ظفوه باعدائه المنظورين في ملاحم الحرب المادية وكان فارسنا البطل كان قد طبع في قلبه هذه القضية منذ نعومة اظفاره فاحيا بالدين وممارسة النضال المسيحية عيشته بين معامع القتال وقدم بها حياة العسكرية نعم ان الاعمال المتواترة التي شغلت ابا سمر في حياته لم تسمح له بالتعشق في قضايا معتده فكان دينه عمليا اكثر منه نظريا شأن النفوس الساذجة المطبوعة على الصلاح والتقى فودت من اجداده ايمانا حيا وجرى على فرائضه طول حياته دون ان يحيد عنها حتى في ايام حروبه وتراكم الاشغال عليه

فمن ذلك مثابرتة على الصلاة صباح مساء لانيسا في ايام الحروب متكلا على رب الجنود الذي في يده وحده احكام الموت والحياة والخذلان والانتصار. وكانت نعتة هذه برته والهه تبلغ النماية في ساعة الاخطار فتضاعف شهامته فكان اذ ذلك يرسم على جبهته اشارة الصليب ويلتجى الى ذخيرته المعانة على صدره ولا يبالي بالمخاطر حتى ان اعداءه انفسهم كانوا يقضون العجب من دباطة نجاشه ويزنون عمله الى قوة علوية كما فعل في حرب الاراد لما سقطت الراية العثمانية من يد حاملها ولم يحسر احد ان يرفهها فاخذها بايماز عمر باشا وقوى قلوب جنود الدولة. وكذا فعل في حوادث سنة ١٨٦٠م كاد يسقط في ايدي مطارديه لولا انه طفر بجصانه فوق خندقه عظيم فنجبا منهم (اطلب ترجمته ص ١٥٥ و ١٢٤)

وكان لا يستحي من ايمانه بل يجاهر به حتى امام الذين كانوا على خلاف دينه مها سبب له الامر من الاهانة او الاحتقار فلا يهمل ايام الاحاد والاعياد حضور الذبيحة الالهية بكل خشوع سواء كان في الوطن او في التربة وربما اقترب من

سري التوبة والتوبة والقران لا سينا في الاعياد الكبيرة

ومن الدلائل على حسن ايمانه اكرامه الدائم لوزراء الدين لا يخالفهم في شيء  
ألا اذا رأى في مشورتهم ما يُلحق بالخير العام ضرراً فيعرض لهم وجه الصواب  
الى ان يقتضيه . فكان غبطة السيد بطريرك يريف جيش والاساقفة الاحلأ .  
وعوم الرهبان يعزونه ويفتخرون به ويقبأونه في منازلهم او اديرتهم بكل ترحاب  
ويتحشرون به كاحد انتصار الدين

وكما سعى اعداء ايمانه غير مرة ان يبذروا في قلبه الشك او يصرفوه عن اتمام  
واجباته الدينية فخاب معاهم . وكان اذا احد تكلم امامه بما يسف شرف الدين  
يزهره ويفضح دون خوف . ولما قصد البروتستانت سنة ١٨٨٢ ان يفتحو في وطنه  
بكاسين مدرسة ليثرا فيها اضالهم تصدى لهم ابر سيرا واجبط معاهم . وكان  
الح عليه بعض اصحابه ان يدخل في الشيعة الماسونية ووعده خيراً اذا فعل  
فاستكف من دعوتهم مفضلاً المنايا على الدنيا وقد نورث بنيه بسخة الماسونية

وكان هذا روح الدين والتي ينشره بين رفقته ومواطنيه وقبل كل في قلوب  
اولاده الذين ورتهم فرأهم احسن تربية وصاروا فرحة واكليه فدخل ثلاثة منهم  
في الرهبانية منطلعين حتى اليوم الى كل اعمال البر وخدمة النفوس وحظي الآخرون  
بالتوفيق والنجاح في اعمالهم مع استساكهم بعروة الدين الوثقى وقد انتقل غيرهم  
الى جوار ربهم بيته حالحة ولا تزال قريته قدوة لكل الامم الصالحات

وكما ان الدين حمل ابا سيرا على اتمام وانجباته نحو خاتمه كذلك حدا به الى  
خدمة رؤسائه بكل إخلاص ونشاط . وقد زك ما ناه من الختارى لديهم وم  
احرز عندهم من الثقة حتى أنهم على اختلاف نزعاتهم استعماراً مدة ثيف واربعين  
سنة في كل رتب الجندي

أما القريب فكان جندياً ارب يتفانى في صوامع المادية والادبية ولا سيما  
مواطنوه الصاري الذين أدى لهم من الخدم الجليلة ما استرده الستمم بالثناء  
والشكر زمناً طويلاً ولولاه لبخست حقوقهم وذهب منهم كثيرون ضحايا الجور  
والاستبداد . بل خلص جملة منهم من اخطار اعظم كادت تقفدهم دينهم كما فعل  
يوماً اذ علم ان بعض الجنود الصرية اغروا فتاة مسيحية واختطفوها الى مكان

مجهول فسار ابرسرا الى الكشف عنها ولم يبرح حتى وجدها وخلصها من ايدي تلك الذئاب الخاطفة رغمًا عن تهديدهم وجعلها في احد الاديرة فردّها الى اهلها بعد ان كُفرت عن ذنبها

وكان بطلنا في حومة الحرب عينها لا يجيد عن تعاليم دينه فلا يتجاوز ما تحيظه الحقوق الحربيّة حتى أنّه امكّنه ان يؤكد للبطاريك يوسف جيش أنّه لم يقتل احدًا من اعداء وطنه في غير ساحة الوغى . بل كان في مواطن الحرب ذاتها اذا رأى عدوًا يستسلم طالبًا الامان يكفّ عنه ويمتنع عن مطاردته . وقد اختبر الدورز غير مرّة هذه المجامة وشكروا له عازمته . فن ذلك أنّه سار في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٨١٢ الى عين اوزيه لقائته الدورز فاستحلفه الشيخ كنج العماد بالآل يحرق القرية فاجاب الى طلبه ولم يحرق منها غير بيت منفرد دلّره عليه ليُعرف أنّه كفّ عن البلدة بعد اقتدار ( ترجمته ص ١٢٥ )

وفي هذه الحرب كاد يفتك يوماً باحد زعماء الدورز الشيخ شبلي العريان في جديدة الشوف وهو لم يعرفه فصرخ اليه الفارس الجيول : أ تطارد يا ابا سرا اخاك شبلي . فرقف ابرسرا وتصافح البطلان وتعانقا على ظهور الخيل وبقيا مرتبطين بروابط الصداقة بقيّة الحياة يعترف كل منهما للآخر بعزّة النفس والشهامة ( للترجمة ص ١٢٢ )

وقد اظفر الله ابا سرا . بكثير من اعدائه الذين الحقوا به الاذى او بعياله وماله نكته ابي على الاطلاق ان ينتقم منهم ونقاً لمبادئ دينه القويم . ولما قدم وزير الخارجية شكيب افندي لاصلاح امور لبنان جعل ابا سرا ضابطاً ووكلاً اليه تحصيل الاموال الاميريّة في قائمانيّة الدورز فقام بهذه المهنة بعدل ونشاط عجيبين اكسبه رضى الحكومة وشكر الاهالي معاً ( ترجمته ص ١٣١ )

فكل هذه الاعمال وغيرها ايضاً لم يسمح لنا ضيق المجال ببسطها تشهد على حسن سريرة صاحب الترجمة وممارسته للفضائل المرافقة لجندي صادق لم يفصل بين خدمة الله والوطن العزيز

وقد ظهرت تقوى ابي سرا غانم بكل مجاليها في سني حياته الاخيرة حيث انتقطع بين آله ومواطنيه الى العبادة فكان كل يوم يحضر الذبيحة الطاهرة ويصرف

زمتاً طويلاً مع عائلته في الصلاة وقد حظينا بشاهدته سنة ١٨٨٠ اذ كنا نتجول في اقليم جزين فقلنا في بيته ضيقاً مكرمين فأبنا من ذلك الاسد الرئال حملاً ودياً لا يكاد يتم بالامور الزائلة. ثم عدنا فرأيناه مرتين اخوين اذ نزل الى بيروت سنة ١٨٨٢ ليحضر سيامة ابنه البكر الاب سليمان غانم كاهناً في كليتنا ثم سنة ١٨٨٦ لحضور حفلة ندوره الرهبانية الاخيرة فهتأ نفسه بان يخلف ولداً يجاهد في سبيل الله كما جامد هو في سبيل وطنه بل يفوقه كثيراً بقدر ما تفرق خدمة الله على العالم. فكان جوابنا وقتئذ على كلامه انه كان لابنه نعم المثال في خدمة الله كما في خدمة الوطن اذ لم يفرق قط دينه عن ذنياه بل سوف يعيش في ابنه ويكتسب اجر تجنده للرب كما سحبي سائر اولاده فضائله المسيحية التي زرعا في قلوبهم ثم قضى ابو سرا بقية ايامه في الهدوء والسكينة يوجه نفسه للملاقة ربه بطمأنينة فكانت اواخر حياته كغروب شمس ساطعة النور حجبت قرصها عن الديان وضياؤها تصبغ الافق بالالوان الزاهية. وقد بقي صافي الذهن الى ساعة الاخيرة فاقبل كل اسرار الكنيسة بل التنى وتردد بقوت الملازمة من يد الكاهن الذي كان يقيم كل يوم الذبيحة المقدسة في مخدعه ثم سأله ان يمنحه سر مسحة المرضى. وكان اهل الترية يترادون الى عيادته فيحدثهم كأنه سليم معافى لا يكثر تقرب الوفاة ومسلماً نفسه لامر خالقه مردداً قوله: «ما احلى الموت برضى الرب وطاعته». وكانت اخر الالفاظ التي تقوله بيا اسما يسوع ومريم ويوسف ثم طارت نفسه الى مقر الابرار والكاهن يمنحه الحلة الاخيرة

هكذا مات ابو سرا بطلاً في ملاقاته الموت كما كان بطلاً في ملاقاته الاعداء. وقد احتفل مواطنوه بآفته احتفالاً كبيراً واقاموا له مناحة عظيمة كما يفعل الاهلون في ماتم عظماً. وجاهلهم. وقد كان لشعاه رفات اسي وحزن شديدين في قلوب اللبنانيين فتقاطروا في الوطن وفي اميركة لاقامة الصلوات الحافلة من اجل راحة نفسه ورفاه الشعراء بقصائد بليغة وقد وردت الى عائلته كتب التعازي من الاحبار والرؤساء. وما نحن ندون تعريب كتاب التعزية الذي تطف بارساله الى ارملة الفريد نيافة الكوردينال رمبولاً وزير الدولة البابوية اذ ذاك ونجمه ملك الحسام لهذه المقالة وهو:

## ايتها السيدة

تلقيت بالاسف خبر الحسارة المؤلمة التي اصابتك في شخص الشيخ الجليل الي سرا غانم فلا شك ان الطائفة المارونية جميعه قد فوجت بفقدوه نظراً لما تحلّى به من الفضائل وماله من الخدم في جانب الدين ولكن تلك الفضائل وهذه الخدم عينها من شأخا ان تعزيكم مع الرجاء بان هذا جنسدي المسيح وكنيته قد نال اكليله في السماء واني لا اتأخر من الاشتراك معكم بالصلاة لراحة نفسه المباركة وفي اثناءم يحلو لي ان ابلك البركة الرسولية التي يانحها الاب الاقدس من صنم القالب لك ولاولادك ليتنوا بشهامة آثار القنيد الفاضل الشهير .  
تكريم ايتها السيدة بقبول شراير احتراماتي م . ألكردينال دبوللا

ومن احسن ما نظمه الشعراء تاريخياً لوفاته قول الاديب اسكندر اندي

شيبان عطيه :

لمن ان تمجّ اليك طرباً بر الاوطان يا عامّ المكارم  
حميت الدين والاطوان دوماً وصنت المرض بالبيض الصوارم  
وشتت كرمها وقضيت برأ وذكرك عند اهل الفضل دائم  
واسك يطلق التاريخ حق ابر سرا في الدارين غانم ١٨٩٥

## الاسطول العثماني

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوي

ورد الى ثغرنا على اليمن والسعة الاسطول العثماني العامر فزار لأول مرة مرفأ بيروت في اصيل نهار الاثنين الواقع في ١٨ ايلول فحدث ولا حرج بما احدث منظر تلك البوارج والمدرعات والنسافات في قلوب اهل الوطن من السرور والافتخار وقد رأوا رأي الميان ما كانوا يتوقون الى مشاهدته منذ زمن مديد فتحققوا ما صارت اليه البحرية العثمانية من التقدم السريع بهمة اصحاب الدستور . فلاعجب ان العشرة الايام التي قضاها الاسطول بازاو بيروت كانت كاعباد متواصلة ومواسم متبادلة فكان ارباب السفن تارة يتعمون ابصارنا بانوارهم الكهربائية الباطمة يرسلونها على انحاء البلد وجهاً لبناو وتارة يزيتون جوارهم بالأعلام والسرجه اللامعة فتجلى كأنها عرائس